مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
مجلد: 15 عدد 01 جوان 2024
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
العنوان: **نفوذ الطريقة التيجانية ودورها في غرب أفريقيا**
ص.ص 260- 276.

نفوذ الطريقة التيجانية ودورها في غرب أفريقيا

Research title : The status of Tijaniya and its role in west Africa

محمد بك

جامعة باجي مختار عنابة الجزائر

Bekmed408@gmail.com

تاريخ الإرسال: 11/ 2/ 2024 ؛ تاريخ القبول: 08/ 04/ 2024

Abstract:

The entry of Islam and its culture to Western Africa was a work and a task of religious and fraternal dimensions that linked it to North Africa, and we specifically mention the Tijani method that was known and spread in the Western Sudan region and it represents a great spiritual and fraternal relationship, where the followers of the method published its principles and Her ideas and remembrances with Islamic culture to the Western Sudan region, and we specifically mention the current Senegal, where the homogeneous people have answered these African quarters to spread Islam and Islamic culture, and this has strengthened and the activity of trade relations between North Africa and Western Sudan and led to the diversity and strengthening of relations between them, but Unfortunately, contemporary Algeria did not take advantage of these historical dimensions to benefit from it.

in this research, I have touched upon the religious and commercial relations that have linked Algeria with West Africa since the Ottoman era to the period of French occupation in Algeria and Africa, and defined the way of crowns and the way of its spread in West Africa and finally its influence and religious and political role.

The relationship between tejania and qadiriya was characterized by tension, conflict and wars, which benefited the French colonialism in consolidating its influence and colonization in West Africa, and he used these influential mystical methods to weaken and eliminate popular resistances .

Keywords:

Al -Tijani; Algeria; Western Sudan ; Al -Omari branch (Hajj Omar Tal) ; Hajj Malik Si branch method; Nias family branch.

الملخص:

إن دخول الإسلام و ثقافته إلى أفريقيا الغربية كان بمثابة عمل و مهمة ذات أبعاد دينية و أخوية ربطته بالشمال الأفريقي ، و نخص بالذكر الطريقة التيجانية التي عرفت استقرارا و انتشارا في منطقة السودان الغربي وهي تمثل علاقة روحية و أخوية كبيرة ووثيقة حيث نشر أتباع الطريقة مبادئها و أفكارها و أذكارها مع الثقافة الإسلامية إلى منطقة السودان الغربي و نخص بالذكر السينغال الحالي حيث جاب التيجانيون هذه الربوع الأفريقية لنشر الإسلام و الثقافة الإسلامية و قد قوى ذلك و نشط العلاقات التجارية بين شمال أفريقيا و السودان الغربي و أدى إلى تنوع وتوطد العلاقات بينهما ، و لكن للأسف أن الجزائر المعاصرة لم تستغل هذه الأبعاد التاريخية كي تستفيد منها .

وقد تطرقت في هذا البحث الى العلاقات الدينية والتجارية التي ربطت الجزائر مع غرب افريقيا منذ العهد العثماني الى فترة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وإفريقيا، وعرفت بالطريقة التيجانية وطريقة انتشارها في غرب إفريقيا وأخيرا نفوذها ودورها الديني والسياسي .

اتسمت العلاقة بين الطريقة التيجانية والطريقة القادرية بالتوتر والصراع والحروب التي استفاد منها الاستعمار الفرنسي في توطيد نفوذه واستعماره في غرب افريقيا، وقد استخدم هذه الطرق الصوفية النافذة في اضعاف المقاومات الشعبية والقضاء عليها .

الكلمات المفتاحية: الطريقة التيجانية ؛ الجزائر ؛ السودان الغربي؛فرع العمري (الحاج عمر تال) ؛ فرع الحاج مالك سي؛ فرع أسرة نياس .

مقدمة:

إن موضوع الطريقة التيجانية في غرب إفريقيا بالغ الأهمية تناولته بعض الدراسات التاريخية ، استفدت منها لإعداد هذا المقال ، ووظفت المنهج التاريخي التحليلي واعتمدت على مصادر ومراجع مختلفة عربية وفرنسية للحصول على مادة خبرية وتاريخية في عملية البناء والانشاء .

وتناولت في هذه الورقة البحثية العناصر التالية :

أولا / علاقة الجزائر بإفريقيا السوداء

ثانيا / التصوف في الجزائر : الطريقة التيجانية

ثالثا / فروع الطريقة التيجانية بالسودان الغربي:

1- الفرع العمري نسبة إلى بيت الحاج عمر تال .

2- الفرع المالكي نسبة إلى الحاج مالك سي .

3-الفرع النياسي نسبة إلى بيت الحاج إبراهيم نياس

وتمثلت الإشكالية العامة للبحث فيما يلي :

كيف كان نفوذ و تأثير الطريقة التيجانية على المجتمع والدين والسياسة في منطقة غرب أفريقيا ؟

أولا / علاقة الجزائر بإفريقيا السوداء :

بحكم انتماء الجزائر إلى مجموعة البلدان الإفريقية حيث تعد بوابة واسعة عبر صحرائها الواسعة للقارة و قد ربطتها علاقات مختلفة بغرب إفريقيا ألمس هذه العلاقات في مجالين هامين ، المجال التجاري منذ قيام ممالك افريقية القوية التي تمكنت من إقامة نظام قوي و تطلعت

إلى عبور الصحراء بنفسها لإقامة علاقات تجارية تربط بينها وبين مختلف أقطار المغرب العربي ، ومن الممالك الأفريقية الهامة التي تأسست بين القرن الثالث عشر و السادس عشر الميلاديين نجد مملكة صوصو و ديار ، وغلام و مالي التي كانت في الواقع تابعة اسميا لمملكة غانا القديمة ، في الجنوب الموريطاني الحالي ، و قد انفصلت عنها وورثت نفوذها و قوتها العسكرية و الاقتصادية .

إن التجارة الخارجية للجزائر مع أفريقيا كانت تتم بواسطة قوافل تجارية تجوب الصحراء الكبرى الإفريقية وتربط بين موانئ الشمال البحرية و أسواق و حواضر أعماق الصحراء الكبرى فيالصحراء تشاد و النيجر ، و مالي ، و إفريقيا ، و السينغال و تمبوكتو. أما الطرق التجارية التي كانت تربط الجزائر بغرب إفريقيا السوداء فأهمها ثلاثة هي طريق الجزائر العاصمة إلى تومبوكتو، يتفرع عن هذا الطريق طريقان يصل الأول إلى أقادم ، و ماو ، شرق بحيرة تشاد ، و إلى أقادم و كوكا جنوبا . و فرع الجنوب الغربي نحو أقاديش أين يتفرع هو الآخر إلى فرعين ، فرع إلى سوكوتو، آخر إلى كاتساما . طريق سكيكدة و قسنطينة ، و يصل إلى تمبوكتو .

و أهم الأسواق التجارية التي تتجه إليها هذه الطرق في أعماق الصحراء حيث تتجمع في ثلاث مناطق رئيسية هي : أولا : السودان الغربي ، ومن أهم أسواقه تومبوكتو، واونان و أروان ، و مبروك إيفران، و تيميساو، و تاونديني، ووللن، و تيريشومين ، و أكابلي .ثانيا:أسواق أتشاد و السودان الأوسط . ثالثا:أسواق السودان الشرقي[1] . (هلال، 1988 ، الصفحات 70-74)

كانت ورقلة تتزود من الصحراء بالتمور و الصوف و الجلودو ملح النطرون و الحنة و المواشي و الجمال و مختلف الأنسجة كالبرانس و الحياك و الأغطية فضلا عن ملح البارود و أنواع السكاكين و السيوف و الحلي الفضية .

و من التل كانت تستورد الحبوب و الزيوت و الأسلحة و العطور مع بعض المنتجات المستوردة عن طريق البحر كالأقمشة المتنوعة و القهوة و السكر والشاي و الورق ،بينما كان السودان مصدر البخور الأسود و العاج و الفلفل و الفول السوداني ، مع كميات معتبرة من التبر وأعداد كثيرة من عبيد السودان[2] (سعيدوني، 2008 ، صفحة 486).

أما عن المجال الثقافي و علاقة الجزائر بغرب إفريقيا السوداء فتتجسد في تنقل بعض علماء الجزائر إلى هذه المناطق الأخيرة من حين لآخر و كثيرا ما كانت شهرة علماء الجزائر تسبقهم إلى هذه المناطق ،و ذلك شأن محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ، الذي انتقل إلى شمال نيجيريا و استقر في هذه البلاد مدة مارس فيها مهنة التدريس و الوعظ و الإرشاد في بلاد الحوصا، و لم يغادر المغيلي البلاد إلا بعد إن ترك بها عددا هاما من العلماء، وتوجد في كانو اليوم جماعة ينسبون أنفسهم كأحفاد للمغيلي[3] (زبادية، التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، عدد 25 ، الصفحات 203-215).

ثانيا / التصوف في الجزائر:

تطور التصوف من لفظ إلى سلوك ، أما فيما يخص المصطلح فإن علماء الصوفية قدموا تعريفات و تفسيرات مختلفة ، منها أن الصوفية من الصوفانة ، و من الصف الأول في الصلاة ، ومن الصفا و النقاء ، ومن صوفة القفا ، ومن اسم أول رجل انقطع لخدمة بيت الله ، ومن و من صوفة القوم في الجاهلية انقطعوا للعبادة وسكنوا الكعبة ، ومن أهل الصفة و البهو الفسيح الذي يجمعهم بالمسجد ، ومن كلمة سوفياthesophy اليونانية التي تعني الحكمة ، و من خلال لبس الصوف زهدا وتقشفا[4]. (Meyerovith, 1978., p. 23) (فروخ، 1981، صفحة 22)

ثم أصبح التصوف يدل على سلوك و ممارسة التطهر و التقشف و الابتعاد عن المغريات و التحلي بالفضائل و التخلي عن الرذائل وأداء

الواجبات الدينية و التضرع و الخلوة و التسامح ، حتى تبلورت في شكل جماعات روحية لها قواعدها و آدابها[5] (شهبي، (د ت)، صفحة 97). فالتصوف الحقيقي هو المعرفة الوثيقة و العميقة بالقرآن و السنة و الجمع بين العلم و العمل و السعي لمعرفة الله و التأمل و التفكير و الورع و التجرد من الهوى و حب النفس و إثارة حب الدين و رفع الظلم و الابتعاد عن الإغراءات السياسية السلطوية[6] (أحمدمريوش، 2007، صفحة 83)، و رغم تداخل أفكار الفلسفة و وحدة الكون و التوحيد في مجال التصوف و تأثير الثقافات الأخرى مثل الهندية في التصوف الإسلامي ، إلا أن الصوفية الحقيقية هي التي تبتعد عن البدع و الخرافات و الشرك[7] (فيلالي، 1976، صفحة 57) (الميلي، 1966، صفحة 269)، أما الطريقة الصوفية فهي مجموعة أوراد في ذكر الله والرسول (ص) يؤلفها شيخ الطريقة و تأخذ وتمنح هذه الأوراد و الأذكار من الشيخ و من الخليفة و المقدم ، و تنسب الطرقة غالبا إلى مؤسسها و يكون له أتباع و مريدين ، ومع بداية القرن الثاني عشر الميلادي أخذ التصوف يتحول إلى طرق صوفية ، حيث نشأت حلقات الشيخ و المريد قال بعضهم :" من لا شيخ له ، فالشيطان شيخه ".[8] (سعدالله، 2005، الصفحات 17-19)

وقد انتشرت الطرق الصوفية في الجزائر منذ القرن السادس عشر ميلادي و توسع انتشارها و نشاطها في فترات لاحقة ، وهي ترجع بأصولها إلى الطرق الكبرى مثل القادرية و الشاذلية و الخلوتية ، وقد وصل عدد الطرق الصوفية في الجزائر و التي لها زوايا و شيوخ و مقدمون إلى ستة و عشرون طريقة محلية ووافدة .منها أربعة ظهرت بعد الاحتلال الفرنسي وقدر عدد الزوايا 355 زاوية[9]._(القاسم، 2005، صفحة 180)

الطريقة التيجانية : تنسب الطريقة التيجانية إلى المؤسس الأول الشيخ أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني الذي ولد في بلدة عين ماضي التي تبعد مسافةزهاء 72 كلم عن مدينة الأغواط و ذلك سنة 1150هجري ،(1737-1738م) من أسرة شريفة و محافظة [10]، (زوزو، 2010، صفحة 191) حفظ على شيوخها القرآن الكريم ودرس مبادئ اللغة العربية و الشريعة الإسلامية ، توفي والداه حوالي 1166هجري ، 1752-1753م ، و تمكن أثناء دراسته بالجزائر والبلدان الأخرى ، كما يظهر من سيرته ، من حفظ القرآن الكريم و كثير من الأحاديث النبوية الشريفة و الأسانيد و مبادئ الطرق الصوفية المعروفة .

ولما بلغ نحو العشرين سنة ترك عين ماضي و توجه إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى، لتحصيل العلم عن علمائها و صلحائها حيث تذكر المصادر انه تلقى الأوراد والأذكار أكثر مما كان يتلقى العلوم الشرعية و الأدبية و اللغوية ، فقد أخذ عن الشيخ الطيب الوزاني شيخ الطريقة الطيبة أوراد الطريقة ، كما اخذ عن الشيخ محمد بن عبد الله التزاني المشهور بمنطقة الريف مبادئ الطريقة الناصرية ، ولقي أيضا الشيخ أحمد الصقلي وغيره من الأولياء و تبرك بهم[11] (Daumas, 1945, p. 34) .

وبعد فاس قضى الشيخ احمد التجاني فترة يتردد على الصحراء و تلمسان ، فقد بقى في منطقة الأبيض سيدي الشيخ خمسة أعوام يتعبد عند ضريح سيدي الشيخ المتبرك به ، كما زار احمد التجاني عين ماضي لكنه لم يستقر فيها طويلا ، فتوجه إلى تلمسان التي بقي فيها أيضا حوالي خمس سنوات من1181إلى غاية 1186هجري ، و لكن أحوال تلمسان العلمية و الدينية لم تعد ترضى الطموحين ،لذلك قصد الحج فمر بمنطقة زواوة و اجتمع مع الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري الأزهري و اخذ مبادئ الطريقة الخلوتية؛ و توقف في تونس

و مصر وأخذ عن بعض صلحائها ، و بعد حوالي عامين عاد الشيخ التجاني إلى تلمسان التي كان يتردد بينها وبين فاس ،ثم انعزل عن المدن تماما حين ذهب إلى توات وأبي سمغون[12] (Rinn, 1884, pp. 416-418)، لكنه تعرض مع أتباعه للمضايقة من طرف باي غرب الجزائر محمد الكبير فاتجه مع أسرته إلى مدينة فاس ، وقد رحب به السلطان و أحضره مجلسه و أعطاه دارا كبيرة و راتبا محترما و ظل في المدينة حتى وافته المنية سنة 1230هجري الموافق ل 1815م ،وقد ادعى احمد التجاني انه رأى الرسول (ص) في اليقظة الذي أذن له "في تلقين الخلق بعد أن كان فارا من ملاقاتهم " وهو بذلك يقول إن سنده الحقيقي وأستاذه في طريق التصوف هو الرسول نفسه (ص) و أن ما تلقاه من المشايخ الآخرين من الأوراد و السلاسل و العهود لم يرو ظمأه و لم يحقق له المقصود ، وخلافا للمتصوفة و المرابطين الآخرين المؤسسين للطرق الصوفية ، كان الشيخ التجاني يجمع بين الثقافة الدينية و الطموح السياسي المعارض للحكم التركي الذي اتسم بالاستبداد و قهر الأتباع بالضرائب الثقيلة. و في ذلك الزمان الذي تميز بعدم إنصاف المعلمين والمؤدبين من الناحية المادية و المعنوية وعدم اهتمام الأتراك بقطاع التعليم و التدريس و الاستيلاء على بعض الأوقاف التي كانت تغذي المؤسسات التعليمية من مساجد وزوايا نتيجة لذلك كان موقفه من التعليم غريبا إذ يرى "تحريم التدريس " في هذا الزمن لذهاب شرطه و هو الامتثال و تطهير الباطن كالظاهر و تحسين النية . ورغم ذلك فان الطريقة التجانية قد انتشرت و وجدت لها أتباعا وأنصارا في الجزائر وبلدان أخرى عربية وإفريقية و أصبحت ذات أهمية كبيرة و مكانة مرموقة التي برزت خاصة في العهد الفرنسي و ليس في العهد العثماني الذي أراد تطويع الطرق الصوفية بالقوة خوفا على وجوده[13]. (سعدالله ، 1981، الصفحات 516-520)

وأوراد الطريقة التيجانية تتمثل في ذكر لاسم الجلالة اللطيف مائة مرة ،لا اله الا الله مائة مرة ، استغفر الله كذلك مائة مرة ، اللهم صل

على سيدنا محمد الفاتح لما غلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى اله حق قدره و مقداره العظيم . وكذلك اللهم صلي و سلم على عين الرحمة الربانية و اليقوتة المتحققة الحايطة بمركز الفهم والأوان و نور الأكوان متكونة الادم صاحب الحق الرباني البرق الاسطع بمزون الأرياح المالية لكل متعرض من البحور و الأوان و نور كلام الذي ملات بت كونك الحايطة بأمكنة المكان ، اللهم صل و سلم على عين احق التي تتجلا منها عروس الحقايق عين المعارفا القوم صراطك التام الأسقم 'اللهم صلي و سلم على طلعة الحق بالحق كنز الأعظم افاضتك منك اليك احاطة النور ، صلى الله عليه و على اله صلاة تعرفنا بها اياه الله . (اثنتا عشرة مرة)[14] (Africaine، 1985).

ثالثا / نفوذ ودور الطريقة التيجانية في السودان الغربي :

نفذت التيجانية إلى السودان الغربي بواسطة قبيلة إداو علي التي تعد مرجعا أساسيا بانتساب قبائل التوكولورو الولوف إليها و كانت مصدرا صوفيا لأبرز البيوت العلمية التي اتبعت الطريقة التيجانية و يعتبر الشيخ محمد الحافظ من أهم دعاة التيجانية في هذه المنطقة إذ التقى بالشيخ أحمد التجاني في مدينة فاس حيث علمه مبادئ و أسرار الطريقة ثم عينه مقدما يدعو لها و يناصرها في ربوع إفريقيا الغربية ، و تخرج من مدرسة شنقيط التي كان يديرها الشيخ محمد الحافظ عددا من الطلبة المريدين من أبرزهم الشيخ مولود فال الذي كشف للحاج عمر تال عن أسرار الطريقة وأفكارها التي وجدت أتباعا لها في السينغال ومن الشيوخ أيضا نذكر ألفا مايو روويلي عم القطب التيجاني الشيخ مالك سي و كذلك الشيخ عبد الكريم الناقل . و بعد وفاة الشيخ محمد الحافظ سنة 1830 م كانت الطريقة التيجانية قد ذاعت و انتشرت في مناطق عدة من إفريقيا الغربية و أصبح للطريقة زوايا و مساجد و مدارس يجتمع و يتعلم فيها المريدين و الأتباع . و ظهرت عائلات إفريقية ناصرت الطريقة و دعمتها بالمال و الرجال من أهمها عائلتا دييري و كاني في سيكو و عائلتا كارابنتا و سيمبارا في صيا و قد ساهم ذلك في

تثبيت و توسيع نفوذ التيجانية في إفريقيا الغربية و كان مصدر تلك القوة مرتبط بتعدد فروع الطريقة التيجانية التي جاهدت بالكلمة و السيف لنشر التيجانية .

ونميز ثلاثة فروع كبرى و أساسية هي :

* الفرع العمري نسبة إلى بيت الحاج عمر تال .

* الفرع المالكي نسبة إلى الحاج مالك سي .

* الفرع النياسي نسبة إلى بيت الحاج إبراهيم نياس[15] (مونتاي، 1983، صفحة 273).

1- فرع الحاج عمر بن سعيد الفوتي :

ينسب الحاج عمر الفوتي إلى قبيلة التوكولور ' ولد في العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي في غرب فوتا السينغالية حيث تعلم مبادئ الثقافة العربية الإسلامية وأتم دراسته في شنقيط فحفظ القرآن الكريم ثم سافر إلى الأزهر للدراسة و في 1825م ثم توجه لأداء فريضة الحج و بقي في المشرق العربي مدة سبع سنوات التقى خلالها بالشيخ محمد الغالي أحد أقطاب الطريقة التيجانية فكان سببا في انتسابه لها حيث أجازه هذا الأخير و عينه شيخا مقيما للتيجانيةفي غرب إفريقيا الإسلامية و بعد ذلك عاد الشيخ إلى بلادهو مكث مدة في مدينة سوكوتو وبدأ في حركة أصلاحية سياسية و جهادية و قد شعر الزعماء القادريون الذين يحكمون بلاد الكانم و الحوصابأهدافه فطرده الكانمي من بلاده بورنو في سنة 1833م و طرد أيضا من طرف أتبكومن سوقوطو سنة 1837 م بعد أن اظهر الحاج عمر رغبته في خلافة محمد بلو في حكم البلاد . ولما مر بمدينة حمد الله عاصمة إمارة ماسينا (1818-1862 م) تعرض أتباعه للمضايقة كما أنه أبعد وطرد من مدينة سيقو عاصمة مملكة البمبارا الوثنية ، و عندما استقر الحاج عمر في السينغال سنة

1846م انشأ جيشا وخاض حربا جهادية منذ 1852م و لم يجد صعوبة في احتلال أجزاء من الساحل الإفريقي لكنه لما توجه نحو الشرق اصطدم بالقادريين الذين يقودهم أحمد البكاي الكنتي زعيم تمبكتو وكانت نتائج تلك المعارك بين أنصار الزعيمين قتل الحاج عمر الفوتي سنة 1864م في ظروف غامضة حيث تذكر الروايات أنه حدث انفجار كبير دمر الكهف الذي كان يؤويه مع أنصاره في منطقة دي كمبري. إضافة إلى جهاده و حرصه على نشر الطريقة التيجانية فقد ألف الحاج عمر الفوتي كتبا كان أهمها كتاب الرماح حيث ذكر سنده في الطريقة التيجانية الذي ينتهي إلى الدوحة المحمدية الرسول (ص) و تحدث أيضا عن الأذكار و الأوراد المرتبطة بالطريقة و فسر مفهوم الخلوة و شروطها و ذكر أهم العلماء و المشايخ الذين اخذ عنهم و هم الشيخ مولود فال الساكن بموريتانيا ، و الشيخ عبد الكريم من فوت جابون ، و الشيخ محمد الغالي من الحجاز ومن خلال مواقفه و كتاباته يظهر أن الحاج عمر الفوتي كان متعصبا للطريقة التيجانية معاديا للطرق الأخرى خاصة الطريقة القادرية التي كان نفوذها واسعا و قديما في بلدان السودان الغربي و قد اعتمد الحاج عمر الفوتي في الدعاية للطريقة على أولاده و على عدد من العلماء مثل ألفا عمر ،تيرينو دورا ، سو مبيلي،تيرينو أليو ، تيرينو عبد الرحيم [16] (زبادية، الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات و نصوص، 1989، الصفحات 91-95).

2- فرع الحاج مالك سي :

يعتبر بيت الحاج مالك سي من أبرز البيوت العلمية التي كسبت علما و صيتا و شهرة في بلدان السودان الغربي عامة و السينغال خاصة إنهااتخذت من التعليم والتربية منهجا لنشر مبادئ الطريقة التيجانية،و حسب ما ذكرته المصادر عن سيرة الشيخ مالك سي فقد ولد الحاج مالك بن عثمان بن معاذ بن محمد علي بن يوسف الحلفي عام 1274هجري في قرية كاية حيث حفظ القرآن الكريم ومكث في بلدة أندر بهدف التعليم

و بعد أداء فريضة الحج رجع إلى السودان الغربي و مارس مهنة التدريس في مدن وقرى ومداشر إفريقيا الغربية مثل جلف ' تواون ' أندوا ' أنكار .. وبعد فترة ذاع صيته و كثر مريديه وأتباعه و كسب مالا و شهرة وقد ألف و كتب الشيخ كتبا صغيرة منها رجز القلوب ، و آداب الدخول إلى المسجد ، و فاكهة الطلاب أو جامع المرام ، و قنطرة المريد ، والكوكب المنير، و ري الظمآن ، وعلمي العروض و التصوف ن وخطبة العيدين ، وسيلة المقربين ، و مرثية رائية ، و رسالة لطيفة و كتب أخرى وتمكن الحاج مالك سي من ربط علاقة مصاهرة مع الفرع العمري التيجاني و انشأ علاقة جيدة مع أتباع الطريقة القادرية و شيوخها في المنطقة لكنه هادن الاستعمار الفرنسي و حالفه و رسالته التي نشرها في مجلة السعادة المغربية في سبتمبر 1913م دالة على موقفه المتخاذل هذا . (الأزمي، 1997)

وترجع علاقة مالك سي بالطريقة التيجانيةإلى سنة 1873م وكان حينها قد بلغ الثامنة عشر من عمره حيث أخذ أوراد أفكار الطريقة على يد شيوخ أدوا علي الذين أدخلوا التيجانية إلى موريطانياو الصحراء و كان من أبرزهم مولود فال ، و أما المصدر الثاني كان الشيخ محمد علي حين زار مالك سي بلاد الترارزة سنة 1888م . ثم استقر الشيخ مالك سي في زاوية تيواون السينغالية التي تميزت بضخامتها حيث شملت عدة أجنحة ومرافق وأصبحت تستقبل آلاف الطلبة من أصقاع إفريقيا الغربية المسلمة و كان التعليم مجانيا فيها ، والزاوية مزودة بمكتبة كبيرة ضمت آلاف الكتب وتؤدي الصلاة في مسجدها و هو جامع كبير الذي يشرف عليه الحاج مالك بنفسه[17]. (Ki–ZERBO, 1969, pp. 125–130)

3- فرع أسرة نياس :

تعتبر من الأسر التي خدمت الطريقة التيجانية التي عرفت انتشار في جنوب الصحراء و كان لزاوية كاولاك دور فعال في تعليم الأفارقة

مبادئ و أوراد الطريقة و كان لهذه الأسرة دورها في نشر التيجانية في السينغال و أجزاء أخرى من إفريقيا الغربية مثل لوكا ،تييس،ديوربيل، سين ،سالوم، و الوا ريب . و يمكن تصنيف مراحل خدمة أسرة نياس للطريقة التيجانية إلى مرحلتين أساسيتين هما :مرحلة الحاج عبد الله نياس (1845م توفي بعد سنة 1916م) : وهو ينحدر من قبيلة الولوف ، ولد عبد لاي في لوكا بالسينغال تلقى تعليمه الأول على يد الفقيه ماتار فال اندرياي و قام باداء فريضة الحج سنة 1890م و بعد عودته استقر في غامبيا فترة أربع سنوات و بعد رحلات استقر به الأمر في كاولاك و يرجع تاريخ انتسابه للطريقة إلى عام 1875م حين حصل على الورد التيجاني من شيخ فوتا دجالون ، تمكن من بناء علاقات ودية مع شيوخ التيجانية في إفريقيا و فاس و عن ماضي، اكسبته شهرة و نصرة وامتد تأثير و دعوة الشيخ عبد الله نياس إلى سوروم، السين ،سالوم في السينغال و كثر أتباعه[18]. (Wauthier, 1944, p. 41).

مرحلة ابراهيم نياس (1902-1975م): و يرجع أصل عائلته إلى بيل بمنطقة لوكا حيث تلقى تربية دينية وثقافة واسعة أكسبته سمعة حسنة و رحل إلى موريتانيا لاستكمال دراسته و استقر الشيخ في زاوية كاولاك حيث تقاطر عليه الطلبة و المريدين الوافدين إليها من مناطق شتى .و في هذه الزاوية كان الطلبة يتلقون دروسا في اللغة العربية شعرا و نثرا و العلوم الدينية الفقه و الحديث و التفسير ورقائق الوعظ، وتتوفر الزاوية على مكتبة كبيرة فيها كتب متنوعة إضافة إلى ذلك كانت تقدم خدمات اجتماعية واقتصادية و سياسية عديدة ، وقد بلغ عدد أتباع الحاج إبراهيم نياس في دائرة كاولاك وحدها حوالي 237000 مريد الأمر الذي جعل أثر و تأثير الطريقة التيجانية يتجاوز حدود السينغال ليصل إلى غانا ، مالي ، غامبيا ،النيجر،الطوكو، شمال نيجيريا[19] (مونتاي، 1983، الصفحات 147-148).

الخاتمة: ويمكن أن نستنتج أنه على الرغم من حداثة و استقرار الطريقة التيجانية في السودان الغربي [20]. (Rinn, 1884, p. 424)إلا أنها استطاعت في فترة قصيرة من الانتشار في رقعة جغرافية واسعة كانت في السابق مواطن لطرق صوفية أخرى مثل القادرية كما تمكنت من جذب فئات اجتماعية عريضة ، وللطريقة التيجانية اليوم نفوذ و أتباع و مؤسسات ثقافية و أحزاب سياسية متعاونة معها في معظم بلدان إفريقيا الغربية و نحن نرى أن على الجزائر أن تستغل نفوذ هذه الطريقة في دعم و تطوير العلاقات مع بلدان غرب أفريقيا كي تحقق المكاسب السياسية والثقافية و الاقتصادية .

الموضوع يحتاج الى دراسات وأبحاث أخرى توظف مصادر ومراجع عديدة لمعالجة جوانب مختلفة لنفوذ ومكانة الطريقة التيجانية في منطقة السودان الغربي ، وأثر ذلك على توثيق العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الجزائر وغرب إفريقيا .

المصادر و المراجع:

المصادر والمراجع العربية:

- الأزمي أحمد ، (1997)،قراءة و تأملات في بعض مؤلفات الحاج عمر الفوتي ، ص ص 5- 18 . المتضمن **أعمال الندوة العالمية المنعقدة بتمبكتو** حول **" الثقافة العربية الإسلامية بأفريقيا جنوب الصحراء "** ، 1997، تونس .

- زبادية عبد القادر: " التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي " **مجلة الأصالة**، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، عدد 25 ، ص ص 203-215.

- زبادية عبد القادر ، (1989)، **الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص** ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب .

- شهبي عبد العزيز، (د ت) ، **الزوايا و الصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر** ، الجزائر ، دار الغرب للنشر و التوزيع.

- سعد الله أبو القاسم ،(1981)، **تاريخ الجزائر الثقافي من العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م) ، ج1** ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

- سعد الله أبو القسم ، (2005)، **تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4** ، ط2 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي .

- سعيدوني ناصر الدين، (2008) ، **ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد** ،ط 1، الجزائر، دار البصائر للنشر و التوزيع .

–عبد الحميد وزو ، **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1900** ، الجزائر ، موفم للنشر .

- عبد المنعم القاسم ، (2005) ، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، الجزائر ، دار الخليل .
- مبارك الميلي ، (1966)، **رسالة الشرك و مظاهره** ، ط2 ، الجزائر ، مكتبة النهضة .
- مختار فيلالي ، (1976)، **نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني** ، الجزائر ، دار الغرافيكي للطباعة و النشر .
- مريوش أحمد وآخرون ، (2007) ، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث** ، الجزائر ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 .
- فروخ عمر ،(1981) ، **التصوف في الإسلام** ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- فنسان مونتاي ، (1983)،**الإسلام في أفريقيا السوداء**، بيروت ، دار ابعاد للطباعة والنشر والتوزيع.
- هلال عمار، (1988)، **الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء** ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية .

المصادر والمراجع الأجنبية :

- Claude Wauthier ,(1944), **l'Afrique des Africains** , Paris.
-Daumas (E) , (1945) , **le Sahara Algérien, études géographiques statistique et historique sur la région au sud des établissement français en Algérie** , Paris , Larousse.
- Eva de vitray Meyerovith : anthologie du soufisme , édit sindbad , Paris ,1978.
- Ki–ZERBO , (1969), **Histoire de l'Afrique** , Paris.

- Rinn Louis , (1884) , **Marabouts et Khouan .étude sur L'islam en Algérie**, Alger , imprimeur – Libraire de l'imprimeur – Libraire de l'académie . . .pp 416-418

−siège d'Ain –Madi par el- Hadj El –Kader B. Mohied –din . Revue Africaine .numéro8 . année 1864 . office des publications universitaires .Alger .1985 . pp357-358 .